الجامعة الليبية في عيدها الخمسين
صفحة مشرقة في تاريخ ليبيا

د. محمد فرج دغيم
جامعة قاريونس

إني لأذكر جيداً ذلك اليوم 1955.12.15 إذ دعينا نحن طلبة التوجيهية بقسميها الأدبي والعلمي في مدرسة بنغازي الثانوية آنذاك لحضور، حفل افتتاح الجامعة الليبية في مقرها المخصص لها في مدينة بنغازي وهو قصر المنار، وقد افتتح الجامعة رئيس مجلس الوزراء وألقى وزير المعارف (التعليم) عبد السلام بسيكري كلمة الافتتاح، ثم طفنا بأقسام الجامعة التي كانت كلية الاداب والتربية نواتها الأولى، وكان عدد طلابها الذين بدأت بهم الدراسة 31طالبا، وقد هيأ المقر ليضم قاعات الدراسة والمكتبة ومكاتب الأساتذة والموظفين، وخصص قسم منه ليكون بيتاً للطلاب، وصرفت مكافأة شهرية قدرها 5جنيهات لمصروف الجيب لكل طالب.

كان إنشاء جامعة في ليبيا حدثاً غير عادي في تلك الفترة، فهو ضرب من الخيال، إذ لم يمر على إعلان استقلالها (الإسمي) سوى أربع سنوات، وتعتمد البلاد في ميزانيتها على مساعدات خارجية قائمة على تأجير قواعد عسكرية للولايات المتحدة وبريطانيا وفق معاهدتين جائرتين في غير صالح ليبيا، ولا يوجد في البلاد مؤهلون للقيام بالتدريس، ولا تزال البعثات الدراسية ترسل للدراسة في مصر وغيرها، بل وحتى الشهادة التوجيهية وقبلها شهادة الثقافة العامة، ترسل امتحاناتها من مصر وتصحح هناك، وفق منهج الدراسة في مصرن ولم تكن هناك في الوطن العربي جامعات سوى ثلاث جامعات في مصر وجامعة في سوريا، وكليات جامعية تتبع الوزارات في العراق، وفي شمال أفريقيا لا توجد إلا جامعة في الجزائر وهي فرنسية في لغتها وأساتذتها ومناهجها وتوجهاتها، وفي لبنان توجد الجامعة الأمريكية التي كانت في بداية نشأتها جامعة بروتستانتية تبشيرية.[1]

[1] . أنشئت جامعة الرياض سنة 1957، وضمت الكليات في العراق لتؤسس جامعة بغداد سنة 1958، والجامعة الأردنية سنة 1962 وكذلك جامعة الكويت سنة 1962 ثم توالي إنشاء الجامعات العربية حتى بلغ عددها الآن حوالي 140 جامعة أعضاء في اتحاد الجامعات العربية.

وكان الهدف من إنشاء الجامعة الليبية ملء الفراغ الهائل في كل المرافق الحيوية بإيجاد كوادر مؤهلة تسد هذا النقص، إذ حرم المواطنون من فرص التعليم أبان العهد الإيطالي الاستعماري البغيض واقتصر التعليم على المدارس الإيطالية الابتدائية وعلى الدراسة في الكتاتيب بالنسبة لليبيين، وحاول البعض مواصلة الدراسة في المعاهد الدينية أو في الأزهر أو الزيتونة في تونس، ومن ثم فإن إنشاء جامعة في ليبيا كان أملاً في أن تزود البلاد بأبنائها المؤهلين في كل فروع الدراسة والميادين، ولإنشاء هذه الجامعة في تلك الفترة قصة ينبغي أن يعرفها القراء، فقد وصل وفد أمريكي سنة 1955واقترح إنشاء كلية جامعية مدة الدراسة فيها سنتان Community College يبعث الطلبة بعدها لإتمام دراستهم في إحدى الجامعات الأمريكية، على أن تكون هذه الكلية في ليبيا أمريكية في مناهجها وطرق التدريس بها، ويبدو أن الوفد الأمريكي كان يتحدث بعنجهية واستعلاء وإملاء الشروط، مما امتعض له الجانب الليبي، وطرحت فكرة إنشاء جامعة ليبية أو كلية جامعية نواة لها، وهنا عرض الأستاذ فريد أبو حديد المستشار الفني لوزارة المعارف[1] اقتراحا بإنشاء كلية للآداب والتربية تكون نواة للجامعة ، ووضع مشروعا للنظام الأساسي للجامعة المقترحة ، وشكلت لجنة لمتابعة تنفيذ المشروع كان من بين أعضائها الأستاذ مصطفى بعيو والأستاذ إبراهيم المهدوي وكان سكرتيرها الأستاذ أحمد فؤاد شنيب، واقترح السفر إلى جمهورية مصر العربية للاستعانة بأستاذتها للتدريس، وقابل الوفد برئاسة مجلس الوزراء الرئيس جمال عبد الناصر، وعرضوا عليه الفكرة وقدموا له قائمة بالأساتذة الذين يودون إعارتهم لليبيا، وكانت القائمة تضم أساتذة مرموقين في تخصصاتهم، وأن تستمر إعارة الأساتذة في السنوات اللاحقة، وقد ليت مصر الطلب رغم اعتراض بعض الجامعات المصرية بأنها ستفرغ من أساتذتها الأعلام الذين تطلبهم ليبيا للتدريس بجامعتها، ثم كانت المكرمة أن مصر قد تعهدت بدفع مرتبات الأساتذة الأربعة الذين طلبتهم ليبيا للتدريس بها لمدة أربع سنوات.[2]

بدأت الدراسة فعليا في كلية الآداب يوم 1956.1.22 وكانت السنة الأولى من ذلك العام الجامعي حافلة بأوجه النشاط المتعددة من محاضرات عامة يلقيها الأساتذة، وإقبال من المهتمين على مختلف مستوياتهم لحضور هذه المحاضرات،

[1] . وهو مصري، كان مستشارا فنيا لوزارة التعليم والتربية المصرية وعين مستشارا فنيا لوزارة المعارف في ليبيا بعد تقاعده سنة 1955.

[2] . الأساتذة هم : د.طه الحاجري (الأدب العربي)، د.عبدالهادي شعيرة (التاريخ)، د.عبد الهادي ابو ريدة (الفلسفة)، د.عبد العزيز طريح شرف (الجغرافيا). كما تعاقدت الجامعة الأستاذ (وليامز) وقد كان أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية قبل عودته الى بريطانيا

وعين مدير للجامعة هو الأستاذ محمود البشتي، وقد توالي على إدارة الجامعة الأساتذة:

1. محمود البشتي 1956-1958.
2. عبد الجواد الفريطيس 1958-1961.
3. بكري قدورة 1961-1963.
4. مصطفى بعيو 1963-1967.
5. عبد المولى دغمان 1967-1969.
6. عمر التومي الشيباني 1969-1973.
7. الهادي بولقمة 1973-1976.
8. عبد الحفيظ الزليتني 1976-1980.
9. يوسف حامد الشين 1980-1984.[1]

استمرت الجامعة تتوسع في أنشاء كليات جديدة، فأنشأت كلية العلوم بطرابلس سنة 1956 وكلية التجارة في بنغازي سنة 1957، ثم كلية الحقوق (القانون) سنة 1962، وضمت كلية الهندسة في طرابلس وكلية المعلمين التي أصبحت كلية التربية سنة 1969، ثم أنشئت كلية الطب البشري سنة 1970، وكلية كب الأسنان سنة 1974، وأنشئت كلية أخرى للهندسة في بنغازي سنة 1974، وكلية للزراعة في البيضاء سنة 1974.

ومما ميز الجامعة الليبية بكلياتها المختلفة استقطاب خيرة الأساتذة من الجامعات المصرية وغيرها، فاجتمع في كلية الآداب نخبة من الأساتذة لم تجتمع في أي كلية للآداب في أي جامعة عربية حتى أصبحت الأولى بين كليات الآداب في الوطن العربي دون منازع، وقد أثنى الدكتور طه حسين على مناهج كلية الآداب في الجامعة الليبية، ومن الأساتذة الأعلام الذين أسهموا في التدريس بكلية الآداب في مختلف أقسامها:

1. قسم اللغة العربية: طه الحاجري، إبراهيم مصطفى، محمود السعران جميل سعيد، إبراهيم اللبان، ناصر الدين الأسد، محمد محمد حسين، عمر الدسوقي، عبد القادر القط، عبد الله درويش، مصطفى ناصف، سعيد الأفغاني، عبد المحسن سلام، يحي الجبوري.
2. قسم اللغة الإنجليزية: وليامز، بلاكستون.

[1] . شغل كاتب المقال منصب أمين عام اتحاد الجامعات العربية للفترة 1984-1991، ولذا فهو غير ملم بأسماء بعض من تولوا رئاسة الجامعة أو أمانة اللجنة الشعبية بعد سنة 1984.

3. قسم التاريخ: عبد الهادي شعيرة، سعد زغلول عبد الحميد، أمين عبد الله، أحمد عزت عبد الكريم، إبراهيم نصحي.
4. قسم الفلسفة: عبد الهادي أبو ريدة، محمود قاسم، محمد علي أبو ريان، توفيق الطويل، عثمان أمين فؤاد الأهواني، عبد الرحمن بدوي.
5. الاجتماع: علي أحمد عيسى، أحمد أبو زيد.
6. الجغرافيا: عبد العزيز طريح شرف، إبراهيم رزقانة، جودة حسنين جودة.

وفي كلية الاقتصاد كان: عيسى عبده، دلاور علي، حمدي النشار، صلاح نامق.. إلخ

وغير هؤلاء كثيرون ممن أصبح لهم مكانهم المرموق في الجامعات العربية، واستمر هذا الاستقطاب للأساتذة المتميزين إلى أواخر سبعينيات القرن الماضي، إذ أخذت كليات الجامعة تعتمد على أساتذة ممن أوفدتهم في بعثات ونالوا شهادات عليا، وقد أوفدت الجامعة أو دفعة من المعيدين في كلية الآداب وعددهم أحد عشر معيداً في فبراير 1961 إلى الولايات المتحدة للدراسة العليا في جامعاتها والعودة للتدريس في الجامعة، وأوفدت بعد ذلك المتفوقين في كل دفعة من جميع الأقسام والكليات الإنسانية والعلمية وقد لوحظ حرص هذه الدفعات التي كونت كادر أعضاء هيأة التدريس على مواصلة الدراسة في أرقى الجامعات وأكثرها شهرة في الولايات المتحدة وأوروبا ومصر ، وكان عطاؤهم بعد عودتهم متميزاً وأفادوا من خبرة الأساتذة الأعلام الذين كانوا في مختلف الأقسام في كليات الجامعة من حيث مناهج البحث والتدريس كما رسخوا تقاليد جامعية أسوة بالجامعات العريقة التي درسوا بها.

استمرت الجامعة الليبية بهذا الاسم منذ إنشائها، وتوسعت في إنشاء الكليات في بنغازي وطرابلس والبيضاء، ثم رؤى أن تقسم الجامعية إلى جامعتين باسم جامعة طرابلس وجامعة بنغازي وكان ذلك في سنة 1973، وفي 1976 تغير اسم جامعة طرابلس إلى جامعة الفاتح، وجامعة بنغازي إلى جامعة قاريونس.

وتوسعت هاتان الجامعتان لاستيعاب الأعداد المتزايدة من مخرجات التعليم العام فأنشئت كليات جديدة وأقسام جديدة في الكليات القائمة، فكلية الآداب بجامعة قاريونس التي ابتدأت بخمسة أقسام أصبح فيها الآن أربعة عشر قسماً، وأصبح عدد طلابها 9766 في العام الجامعي 2005/2004 وكذلك باقي كليات

جامعة قاريونس وفق الإحصائية لهذا العام إذ يلاحظ أن مجموع الطلاب قد بلغ 51877.[1] كما خرّجت جامعة قاريونس عشرات الآلاف في مختلف التخصصات وقد خرّجت كلية الآداب منذ إنشائها خمساً وأربعين دفعة منذ العام الجامعي 1958-1959 إلى 2003-2004 ما مجموعة 22608 طالباً وطالبة، وخرّجت كلية الطب البشري سبعاً وعشرين دفعة منذ العام 1976 إلى 2004 ومجموع ما خرّجته 3162 طبيباً وطبيبة، وقد أتيحت الفرصة للدراسة لأبناء الأمة العربية والإسلامية وأبناء القارتين: أفريقيا وآسيا.

استقلت كلية الطب البشري وكلية طب الأسنان وكذلك كلية الصيدلة عن جامعة قاريونس سنة 1984 وأصبحت تسمى هذه الكليات بجامعة العرب الطبية ولكنها أعيدت إلى رحاب جامعة قاريونس مرة أخرى سنة 2004 وكذلك الأمر بالنسبة لجامعة الفاتح للعلوم الطبية التي أعيدت مرة أخرى إلى جامعة الفاتح.

والجدير بالملاحظة أنه في تسعينيات القرن الماضي توسع في التعليم الجامعي والعالي وأنشئت فروع للجامعات في مختلف مدن الجماهيرية، ولكن بعض هذه الفروع استقلت بأسماء جامعات جديدة، غير أنها عانت من نقص في متطلبات التعليم العالي الأساسية وفي مقدمتها أعضاء هيأة التدريس والمكتبات والمختبرات والمرافق الجامعية الأخرى، وقد لوحظ هذا النقص فضمت هذه الجامعات الناشئة إلى الجامعات الكبرى مرة أخرى، ولا تزال في حاجة إلى إعادة النظر لاستكمال النقص بها وربما لإلغاء بعضها التي لا تتوافر فيها المتطلبات الأساسية ولا الظروف الأخرى الملائمة للدراسة.

كما أنشئت جامعات أهلية خاصة، لم تتوافر في معظمها متطلبات التعليم الجامعي، ومنها ما خطا خطوة أخرى إذ بدأت في برامج الدراسات العليا، ونخشى أن تمنح شهادات جامعية وعليا دون المستوى المطلوب، ولذا ينبغي أن تكون هناك هيأة للإشراف على هذه الجامعات وتتابع الإشراف الذي يمنحها الاعتراف بالشهادات التي تمنحها لخريجيها أسوة بما هو معمول به في بقية أقطار الوطن العربي، ولا يترك الأمر دون رقابة علمية مستمرة.

[1] . انظر الجدول رقم 1 الخاص باحصائية جامعة قاريونس بمختلف كلياتها، وقد بلغ أعضاء هيأة التدريس بكليات جامعة قاريونس خلال العام الجامعي 2005/2004 ما مجموعه 1235 عضوا ولا يشمل هذا العدد المتعاونين للتدريس من خارج الجامعة سواء من الحاصلين على الدكتوراه أو الماجستير (انظر الجدول رقم (6))، ويلاحظ أن نسبة عدد الطلاب إلى أعضاء هيأة التدريس لا تختلف كثيراً عن النسبة الموجودة في أغلب الجامعات العربية، ولكنها أقل بكثير من النسبة التي تحرص عليها الجامعات الأوروبية والأمريكية، مما يؤثر على عطاء الاساتذة واستفادة الطلاب.

وأيا ما كان الأمر فإن الجامعة الليبية التي أصبحت جامعة قاريونس ممثلة في كلية الاداب نواتها الأولى، قد مر على إنشائها خمسون عاما وأسهمت في تكوين جيل جديد نهض بالوطن في مختلف المجالات وأدت رسالتها على أكمل وجه، في حاجة الان إلى وقفة متأنية لدراسة وضع التعليم الجامعي والعالي واستحداث تخصصات جديدة وتطوير ما هو موجود فعلا من تخصصات حتى توازن بين حاجات المجتمع المتجددة وسوق العمل، والإبداع الفكري والعلمي والتقني، وطرق التدريس ووسائله، وهذه الوقفة تنسحب على بقية الجامعات والأكاديميات والمعاهد العليا التي نشأت وتنشأ، ويبغي إنشاء مجلس أعلى للجامعات للتخطيط يضم الخبراء في مختلف التخصصات لتلبية حاجات المجتمع حتى لا يكون التعليم وبخاصة التعليم الجامعي والعالي لاستيعاب مخرجات التعليم العام فحسب وحتى لا يقاس التقدم العلمي بالكم وإنما بما تعده الجامعات وما في مستواها من معاهد وأكاديميات من خريجيها لحاجة سوق العمل والنهوض بمستوى الأداء العلمي والإداري وكل متطلبات التقدم التي تؤدي إلى مواكبة ما يستجد في العالم.

وكانت الخطوة الثانية بعد إنشاء الجامعة، أن تطور مرافقها التعليمية لتستوعب الأعداد المقبلة للدراسة، فوضع الحجر الأساسي لبناء مدينة جامعية في بنغازي سنة 1968 وأنجز هذا العمل العملاق سنة 1974 بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر، وقد كان افتتاح هذه المدينة الجامعية المتكاملة يوم 1974/4/16 يوما مشهوداً، إذ دعا إلى افتتاح الجامعة وزيارة مرافقتها أعداد كبيرة من المواطنين ورؤساء الجامعات العربية وغيرهم، وقد كانت هذه المدينة الجامعية الجديدة موضع إعجاب الجميع إذ لم تكن أي جامعة عربية آنذاك في مستواها، وانعقد في تلك المناسبة بمجلس اتحاد الجامعات العربية في رحاب هذه الجامعة التي صارت حديث الجميع داخل الوطن وخارجه.[1]

أبطأت الجامعة الليبية في بدء الدراسات العليا لعدم وجود الأساتذة المقيمين وحتى يتهيأ جهاز أكاديمي من أبنائها يعتمد عليه في مواصلة الدراسة العليا في مختلف الأقسام والكليات، وبدأت الدراسة في برنامج الماجستير في كلية الآداب سنة 1972 ثم توالى الاتساع حتى شمل في السنوات الأخيرة كل الأقسام

[1] يجدر الإشارة الى أن الدعوة إلى إنشاء اتحاد للجامعات العربية قد انطلقت من الجامعة الليبية في اجتماع حضره بعض رؤساء الجامعات العربية في بنغازي سنة 1961 ثم أحيل الاقتراح إلى جامعة الدول العربية فأوصت بإنشاء هذا الاتحاد على ان يكون هيأة مستقلة أعضاءها رؤساء الجامعات العربية تنشأ له أمانة عامة يختارها رؤساء الجامعات الأعضاء في الاتحاد، وقد ضم الاتحاد عند نشأته سنة 1964 خمس عشرة جامعة فقط ويضم الآن في عضويته أكثر من 140 جامعة عربية.

ومعظم كليات جامعتي قاريونس والفاتح ، وقد بلغ عدد من حصلوا على درجة الماجستير من جامعة قاريونس وحدها 1250 طالبا وطالبة في مختلف الكليات،[1] كما بلغ عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه 16باحثا وباحثة.[2] وبلغ عدد المسجلين للدراسات العليا لدرجة الدكتوراه 13 طالبا والمسجلين لدرجة الماجستير 1802 طالبا وطالبة.[3]

تفاعلت الجامعة الليبية منذ إنشائها مع تطلعات المجتمع فكان إنشاؤها خطوة بناءة لدعم وحدة ليبيا وشعبها، إذ تعارف أبناؤه الذين جمعتهم الدراسة في مختلف كلياتها وتوطدت الصلات بينهم واتحدت الأهداف واتسعت آفاق التفكير، وخفت حدة الجهوية والقبلية وحلت محل هذا فكرة خدمة الوطن والنهوض به، كما جعلت الجامعة وكلية الآداب في بنغازي من هذه المدينة عاصمة ثقافية بما يلفى الأساتذة من محاضرات عامة في مدرجات الجامعة وفي النادي المصري والمركز الثقافي العربي وبما ألفوه ونشروه من كتب ومجلات بل قام الطلبة بنشر مجلات طلابية كانت المنار سنة 1958 إحداها ثم مجلة قورينا وغير ذلك من جرائد حائطية أو مطبوعة، كما كانت المؤتمرات العلمية المتخصصة في تاريخ ليبيا وجغرافيتها والحياة الأدبية فيها، كما كانت الدراسات الاجتماعية والحفريات الأثرية، بعضاً من أوجه النشاط التي قامت بها كليات الجامعة وأقسامها.

وقد حرصت الجامعة على دعوة أساتذة زائرين من ذوي المكانة العلمية فكان من بين من ألقوا محاضرات في ربوعها:

1. المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي.
2. العالم التونسي الفاضل بن عاشور.
3. شيخ الجامع الأزهر الأستاذ عبد الحليم محمود.
4. الأستاذ محمد أبو زهرة.
5. المستشرق الفرنسي شارل بيلا.
6. المستشرق الإيطالي جابر يللي.
7. الصحفي البريطاني مايكل آدامز.

أكرمت الجامعة من كان لهم دور بارز بمنحهم شهادة الدكتوراه الفخرية، أسوة بما تفعله الجامعات العريقة، فقد منحت هذه الشهادة للأتية أسماؤهم لدورهم السياسي المتميز:

---

[1] . انظر الجدول رقم (2). وهذه الإحصائيات خاصة بجامعة قاريونس على اعتبار أنها نواة الجامعة الليبية وامتداد لها.

[2] . انظر الجدول رقم (3).

[3] . انظر الجدولين رقمي (4،5).

1. إميل سان لو، مندوب هايتي في الأمم المتحدة. 1958.[1]
2. أحمد بن بله؛ أحد قادة الثورة الجزائرية بعد إطلاق سراحه 1962.
3. أحمدو بللو؛ رئيس وزراء شمالي نيجيريا 1964.
4. أبو دجاجة حاكم مالطا 1972.
5. العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة 1995.[2]

هذا قليل من كثير يذكر في مناسبة احتفالات الجامعة بعيدها الخمسين أملين أن تحث السير في إرساء دعائم النهضة العلمية وتكوين أجيال تبني الوطن رافعة رأسها مفتخرة بهويتها العربية الإسلامية وترسي قواعد بناء التنمية الشاملة وفق دراسات معمقة وتخطيط علمي دقيق، وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية كعنصر فاعل ذي أثر إيجابي لا يتلقي ما تنتجه الإنسانية من حواليه كمستهلك يستورد العلم ومنتجاته كما يستورد السلع الاستهلاكية.

[1] . كان إميل سان لو مندوب جمهورية هايتي في الأمم المتحدة و عندما عرضت قضية ليبيا سنة 1949 وكان صوته قد رجح جانب القرار القاضي باستقلال ليبيا رغم تعليمات دولته بالتصويت ضد القرار، كما كان تصويته في صالح القضية الفلسطينية عندما عرض مشروع التقسيم سنة 1947.

[2] . منح الاخ قائد الثورة شهادة فخرية أخرى من كلية القانون بجامعة قاريونس كما منح شهادات فخرية اخرى من جامعة الفاتح وغيرها من الجامعات داخل الجماهيرية وخارجها.